المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 06-08-2006 العـــدد : 13922
الصفحـات : 8 المسلسل : 55

في إسرائيل هزة وفي لبـنـان عزة

غازي العريضي

إنه تغيير حقيقي في اسرائيل . المسألة الوحيدة التي لم تتغير حتى الآن هي هذه الغطرسة - العنجهية - الحقد - الاستعلاء - الادعاء أنهم الأقوى وقادرون على فعل كل شيء. حتى هذه النزعة لا بد أن تتغير بفعل الوقائع . وسيكون لهذا التغيير تداعياته

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 06-08-2006 العـــدد : 13922
الصفحـات : 8 المسلسل : 55

■ كتبت مقالة في الأيام الأخيرة وعلى هذه الصفحة تحت عنوان «صفر أو عشرون» في توصيف للحرب المستمرة على لبنان من قبل جيش الارهاب الاسرائيلي . ما استطيع قوله اليوم، وتأكيداً لما عرضته سابقاً، هو أن اسرائيل سقطت بصورتها وهيبتها وإمكاناتها وجيشها وتقنياتها وتفوقها . كل شيء في اسرائيل بات مهدداً . وليس ثمة مبالغة في ذلك . فمن يتابع تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الأمنيين والسياسيين يدرك التناقض والإرباك والضياع والهروب الى الأمام . ومن يتابع التعليقات والتحليلات التي تصدر من هنا ومن هناك من مسؤولين سابقين أمنيين وسياسيين أيضاً يدرك حجم الفشل الذي لحق باسرائيل وجيشها ويستطيع أن يقرأ ماذا يمكن أن يحدث داخل هذا الكيان . وما هي «تداعيات» الهزيمة على المنطقة ككل .

رئيس الحكومة الاسرائيلي ايهود أولمرت أعطى سلسلة من التصريحات المتناقضة . وكانت موضع انتقاد من كبار القادة العسكريين والمحللين . لكن أبرز ما قاله : «لو انتهت المعركة اليوم لأمكن القول بكل الثقة أن صورة الشرق الأوسط قد تغيرت» . كان يتحدث من موقع المنتصر أو القريب من الانتصار . لكن المتابع لما جرى على الأرض وللوقائع يستطيع أن يقول : «ستنتهي المعركة يوماً . وبكل ثقة سيتغير الشرق الأوسط» . ليس كما تقول السيدة رايس وزيرة الخارجية الأميركية . وليس كما يشتهي السيد أولمرت وغيره . لن تبقى في الشرق الأوسط اسرائيل الدولة الأكثر رهبة . قد تسعى لأن تكون مجدداً الدولة الأكثر إرهاباً !! ولكن إرهابها لن ينفع .

نعم الجيش الاسرائيلي أذل وقهر مرة جديدة في لبنان . المخابرات الاسرائيلية فشلت رغم كل ما قيل عن قصف منازل ومقرات تابعة لحزب الله وكوادره . الحزب استمر لأيام طويلة صامداً مقاتلاً بشجاعة وبسالة . المقاومة منعت الجيش الاسرائيلي من الدخول الى أي موقع بعد معارك ضارية رافقها قصف جوي وبري وبحري . المقاومة قاتلت على كل الجبهات وكأنها جيش نظامي قوي مجهز يقاتل جيشاً آخر . حجم الخسائر في صفوف الجيش الاسرائيلي كبيرة قياساً على خسائر المقاومة . رجال المقاومة أرعبوا الاسرائيليين في ساحات القتال . فاجأوهم في كل مكان وموقع . قدرة المقاومة على الاستمرار في القصف فاقت كل تقديرات الاسرائيليين . وتحصينات المقاومة لم تكن مطابقة لمعلوماتهم . ولذلك كتب الكثير وقيل الكثير وطرحت اسئلة كثيرة : ماذا كان يفعل الجيش الاسرائيلي طيلة السنوات السابقة؟؟ ماذا كانت تفعل المخابرات الاسرائيلية؟؟ أين الصواريخ والتقنيات التي تمنع أو تعترض صواريخ البعيدة المدى؟؟ أين فعاليتها؟؟ أين تقنية الجيش الاسرائيلي الذي كان جنوده يهربون امام رجال المقاومة؟؟

هذه الاسئلة أجاب عليها ضباط كبار في احتفال كلية الأمن القومي الذي ألقى فيه أولمرت خطابه وقال «إن الشرق الأوسط سيتغير بعد المعركة» . فقالوا : «هل يرى الحرب كما تراها؟؟ وقال آخرون : «من يعتقد أن وسائل الإعلام تطعن المجهود الحربي يسكين في الظهر عليه أن يسمع كيف يتحدث الضباط من رتبة رائد وحتى ضباط هيئة الأركان العامة» !!

واضاف آخرون : «ان التحقيق في الحرب سيحدث هزة أرضية في الجيش الاسرائيلي . وهذه الهزة ستكون عنوان التغيير في الشرق الأوسط» !!

نعم هذه هي النتيجة الأهم حتى الآن في الحرب . وهذا ما يجب دراسته بتأنٍ وتركيز على المدى البعيد . ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك هو الهجوم غير المسبوق من وزراء وضباط على الإعلام الاسرائيلي الذي لا يواكب المعركة كما يجب على حد قولهم قياساً على إعلام لبنان، وهجوم رئيس الحكومة الاسرائيلية أولمرت على الإعلام العالمي الذي اعتبره منحازاً لمصلحة لبنان !!

أليست هذه مفارقة؟؟ أليس هذا جديداً؟؟ لعقود من الزمن عاش العرب والمسلمون على عقدة ان اسرائيل أقوى إعلامياً وتعرف كيف تسوّق نفسها، وأنها تسيطر على الإعلام العالمي . وها هي اليوم ومعها أميركا في كل الحرب تشكو الإعلام اللبناني، والعربي والعالمي !! هذا لا يعني أننا تقدمنا كثيراً . ولكن بدأنا نؤثر وعلينا أن نعمل أكثر .

لم يعد ثمة كبار في اسرائيل . ولم يعد ثمة خوف من اسرائيل بل صار ثمة خوف في اسرائيل !! نعم هذه هي حقيقة أثبتتها الحرب الأخيرة . الخسائر كبيرة مادياً وبشرياً والناس في الملاجئ وللمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي يتمكن مقاتلون ولا أقول جيشاً أو دولاً، من دب الرعب في قلوب الاسرائيليين ومن دك مواقعهم الداخلية - ولو حصلت بعض الأخطاء - وللمرة الأولى أيضاً لا يتمكن فيها الجيش الاسرائيلي من تحقيق أهدافه المعلنة بعد قتال عنيف وشرس طال كل المناطق والجبهات .

إنه تغيير حقيقي في اسرائيل . المسألة الوحيدة التي لم تتغير حتى الآن هي هذه الغطرسة - العنجهية - الحقد - الاستعلاء - الادعاء أنهم الأقوى وقادرون على فعل كل شيء، حتى هذه النزعة لا بد أن تتغير بفعل الوقائع . وسيكون لهذا التغيير تداعياته .

وإذا اعتبرنا ان اسرائيل هزمت، فإن الأهم من إلحاق الهزيمة بها، معرفة كيفية تدمير الانتصار، وبناء منطقة آمنة مستقرة وقوية ومزدهرة وديموقراطية حقيقية نحن نريدها وهي موجودة في بلادنا قبل أن تأتي إدارة الرئيس بوش وقبل أن تطلق مشروع الشرق الأوسط الكبير تحت عنوان الحرية والديموقراطية وكل ما لمسناه من نتائجه حتى الآن : الشر الأوسع الجديد - والشرخ الأوسع الجديد . المحافظة على الانتصار تكمن في تثبيت الصيغة اللبنانية . في حماية التسوية اللبنانية . في تقوية الدولة اللبنانية . وفي رفض الدخول في أي محور .

لقد أظهرت المواقف السياسية المختلفة التي أعلنت في الأيام الماضية، انزعاجاً سورياً من الإجماع اللبناني الذي أقر في خطة الحكومة اللبنانية وكان فيها تأكيد على استعادة مزارع شبعا، فعدنا نسمع ولسان بعض المسؤولين السوريين كلاماً عن أن هذه الأرض تقع تحت القرار ٢٤٢ بعد أن كانوا يقولون إنها لبنانية ويرفضون نظرية من كان يقول إنها تحت القرار المذكور وليس تحت القرار ١٤٢٥!! وفي الحديث عن قوات دولية وإرسال جيش، وقوات دولية رادعة، سمعنا البعض يقول إن مثل هذه القوات ستؤدي الى الخراب والدمار والاقتتال وان «القاعدة» موجودة في لبنان وستنتفض على القوات الدولية علماً أن هذه القوات موجودة الآن في الجنوب وموجودة في الجولان .

وكذلك ايران، فقد رفض وزير خارجيتها انسحاب اسرائيل من المزارع وتسليمها الى القوات الدولية مؤقتاً وأصر على تسليمها الى الجيش اللبناني (وسوريا لم توافق على توقيع ورقة بهذا الشأن - وبالتالي يريد إعادتنا اليها مجدداً) ولا يرى ضرورة لإدخال الجيش . فقط هو مع الإجماع على وقف النار دون شروط . وقد جاراه في ذلك رئيس الجمهورية المعين من سوريا وبعض الذين يريدون استثمار الانتصار للعودة الى سياسة وحدة المسارين . كنا في وحدة مسارين لبناني وسوري . فاصبحنا في وحدة وتلازم مسارين ايراني لبناني . وهذا يعني نسفاً للانتصار ولامكانية تثميره لبنانياً .

إذا تصرفنا في لبنان على اساس تقديم مصلحتنا الوطنية التي لا تتعارض مع المصالح الاستراتيجية لأصدقائنا أو اشقائنا إذا التزمنا بدستورنا وقوانيننا، وحميناً وفاقنا وتنوعنا وصيغتنا فإننا نكون نطلق إشارة الشرق الأوسط الجديد من لبنان، بمعنى الشرق الأقوى الجديد، المحصن بتجربة لبنان وامتداداً فلسطين لنذهب الى تدمير الهزة في الجيش الاسرائيلي وفي الكيان الاسرائيلي . وهذا الحل جسّدته ورقة الحكومة اللبنانية التي أقرت بالإجماع وفيها التأكيد على بسط سلطة الدولة على كل الأراضي اللبنانية والتمسك باتفاق الهدنة، وهذا لا يعني السلم مع اسرائيل . فالتفكير بالتسوية لا يمكن أن يأتي إلا بعد حل القضية الفلسطينية وتأكيد حقوق الشعب الفلسطيني واستعادة الجولان وهذا ما أكدته المبادرة العربية التي أطلقها الملك عبدالله بن عبد العزيز منذ سنوات واعتمدتها القمة العربية في بيروت بالإجماع .

في اسرائيل هزة..

وفي لبنان عزة . فنحفظها بوحدتنا القائمة على التنوع والحرية والديموقراطية .